

مراثى الملائكة من حلب

كرىم عبد السلام

2104

مراثى الملائكة من حلب

2104

أَعْرِفُ الْآنَ لَمْ خَرَجْ آدَمُ مِنَ الْفَرْدُوسِ

أَيُّ قُوَّةٍ دَفَعَتْهُ لِيَعْصِيَ

لِيَتَحَدَى

لِيَرْفَعَ هَامَتَهُ وَيَضْرِبَ صَدْرَهُ بِقَبْضَتِهِ

وَكَيْفَ سَارَ عَلَى الْأَشْوَكَ

I الملائكةُ من حَلَبَ

هل كانت المرأة الكاملة تتعري في الصلاة
تخلع نقابها وعباءتها وتأخذ بيدي إلى الندوب العميقة
يا لجسدها القائد الملهم
يا لأبيضها الذي يُغشى العيون
يا لأوامرها الحرير
هنا .. أرخ شفيتك برفق
هنا .. ضع حواسك الخمس
هنا .. اسجد واقترب
هنا .. داوئ والتهم هنيئاً
انظر إلى جروحي ، لا لتشفق
بل لأن لديك شفائي .

*

الملاكة مكسورة الجناحين
سقطت من سحابة على رأسى
بينما أفكر في الخبز للعشاء
باعتباره الحقيقة الوحيدة في الوجود .
هل كنت في المترو
عندما خاطبتني العينان العميقتان من وراء النقاب
هل تقدمت في الزحام وأمسكت يدها الصغيرة ،
غير عابئ بالوحوش والكائنات والعيون
يدها صغيرة وأصابعها تجلب الحنان

هل نزلنا متشابكى الأيدي ،

دون مساء الخير

دون كيف الحال

دون ما اسمك

دون إلى أين

هل اتخذت اللغة شكل موجات ملونة

هل عبرنا من رصيف المترو إلى المياه العميقة

فطاردنا حوث يونس

لم تريد ابتلاعنا أيها الحوت

لسنا نبيين

وليس لنا آية

لا نحمل رسالةً إلى فئة ضالة

ولن نهدى الكافرين.

*

لم يظهر القمر

لاحت نجوم صغيرة

تحولت إلى ومضات سحائر تقترب

لست عجوز هيمنجواى يا أوغاد

ولن تنهشوا سمكتى

المياه تجف تدريجياً ، ويظهر القاع الذى نخبط إليه

دغلاً كثيف العشب

والظلام مسيطر

والنجوم عيون وحوش نشعر بأنفاسها اللاهبة وزمجاتها

الطريق، أين الطريق فى هذا الدغل الطينى

بيتي بيتعد

كما لو أننا في مدينة مسحورة

وحوشٌ فقط

تترقبنا وتدور ببطء حول دائرة نتحرك فيها على غير هدى

وحوشٌ تنتظر أن يبدأ أحدها النهشة الأولى

لأن رائحة امرأةٍ فاعمةً تغمر الغابة

لأن ملاكئةً بيضاء مليئةً بالجروح

تتشبث بيدي

*

- " اضغطُ على يدي يا حارسي

حتى تختفي الوحوش في مياهها العميقة الزرقاء

وفي أدغالها الطينية

اضغطُ على يدي مثل أبي وهو يعبر بي جسر "عفرين" *

مكتوبٌ على جيبني أن تطاردني الوحوش

رأيت أسنانها الجارحة

ورأيت أنني المختارة ،

أن أظل على ضفتي باكيةً لأن أبي ترك يدي ومضى إلى الحرب

لأن أُمي تنعى الرجل الذي يُظلل عليها

اضغطُ على يدي يا حارسي السماء وأكون لك شجرةً

بعد أن يلفظك الحوت

أنا يقطينةٌ لها ذراعان ولسان وردى وعينان عميقتان

أنا ملاذٌ

اعبرُ بي يا سيدي وملكى

ودعني أريك ندوبي.

انظر ،اللغات تسيل من عيني إليك
موجات الشراب السائغ تغمرك في قلب الصحراء
اهل يا صاحب لغتي
يا سيدى ورفيقى
ولا تفلت يدي
لا تسمح للأسماك المفترسة أن تتنازعي
وأنت تمضى بالمركب نحو الشاطئ".

*

هل كانت الملائكة المكسورة الجناحين تتعري في الصالة
وهل كنتُ أتخسس بياضها برفق
وأقبلُ ندوبها العميقة
عندما عاد المشهد إلى أتون الحرب..
كيف تسقط الملائكات في الحروب
على أى جبهة كنتِ
وكيف تتحول ملائكةٌ إلى فَرْجٍ يرفرف في ملاجئِ المقاتلين
وهم يأكلون عُلبَ التونة
وينظفون رشاشاتهم بين معركة وأخرى
كيف السبيل إلى عشبة الدواء النادرة لجروحك
كيف أصل إلى ماء الحياة ودونه البحورُ السبعة
وكهفُ التنانين المائة
وصحراءُ الربع الخالى
آهٍ يا حلبُ يا قاتلةُ
يا سدوم
أسحقك كل يوم ألف مرة

ألعنك في اليوم ألف مرة
وأنتزع قلبك الصخرى وأقضمه بأسناني
حتى تردى على الملائكة أيامها
حتى تمسحى بالنسيان الندوب
حتى تعودى بالألم إلى الجحيم
*

يا ملاكهُ
تأخذين رأسى بين كفيك
و تشعين مثل لؤلؤة في ظلام شقتى المرتبكة
أريد أن أبتلعك دفعة واحدة
وأنت تشفقين على روحى من بهائك
أريد أن أحفظك بداخلى
أو أدخلك أنا وأهرب
و تضحكين من طفولتى
زملينى زملينى
زملينى زملينى
*

تعرفين أننى كنتُ فى انتظارك منذ سنوات
مطروذٌ من الجنّات
أنا آدم دون أن يتعلم الأسماء
آدم المطروح على الرمال فى قيظ يونيه
بينما تهربين أنت من الجحيم
حيث المقاتلون يصلبون الملائكات على أسرة حقيرة
ويتناوبون عليهن ،

إلى أن تنكسر أجنحتهن ويمتلئن بالندوب
فيستطونهن من الأعلى
على رأس رجل يفكر في الخبز لعشائه
باعتباره الحقيقة الوحيدة في الوجود
وعندما يضع قدمه في المترو
يصادف حوت يونس يبحث عن بيتلعه
وعجوز هيمنجواي يستعد لرحلته الأخيرة
وعينين عميقتين تغمرانه بكل اللغات
وتمتد اليد الصغيرة بالحنان إلى يده
وتقوده عبر البحار والأدغال
إلى الصالة الفوضوية في شقته المتطرفة.

*

- " أنا الملائكة الحليبة العميقة العينين
أنا الملائكة الحزينة المقطوعة ،
أدعوك رفيقي وملكي
امسح على جناحي يا سيدي
وضممني برفق
ضمني حتى تلتئم جروحي
واحرث أرضي الهويني
كم هي عطشى للحب
الأرض التي تحرث
كم هي عطشى للوثام
الأرض الغارقة في الدموع

أنا دليلك يا حارسي
وأنت بلسمى وشفائي
أنا حصانك المجنح يعلو بك فوق السحاب
أريكَ النور ساطعا
أريكَ النور خافتا
أريكَ النور منحلا إلى عناصره الملونة
أريكَ النعمة وهي تهمي
حتى تستغنى عن العالمين
أنا تميمتكَ السحرية يا ملكي
لا تحتاج إلى طعام أو شراب
اطعم لحمي
واشرب رحيقي "

*

هل اكتفى الشقاء من حياتي
هل ابتداء السحر وانهمرت النعمة مع الملائكة
أهو الوقت الذي أخاصم فيه الجحيم
زولو أيها الغرباء المحاصرون
زولى أيتها الكآبات
زولى يا الوجوه العكرة والأدران المتحركة
أت المرأة الكاملة المرشدة وتشبث بيدي
أت ملاكةُ حلب وقالت :اجعلني خاتما على قلبك
لأن المحبة قوية كالموت
وأظل بين يديك معبودتك التي تُدخلك النعيم

أتت الملائكة بندوبها لأن الدواء فى قلبى
وفى أناملى الشفاء
وبين شفتى قدرها
اختارتنى الملائكة
ونزلت معى على رصيف المترو
وهى تتخفى بعباءة ونقاب أسود
وقالت :اعبر بى ياسيدى
حتى لا يجدنى العسسُ الطائف فى المدينة
احملنى إلى شقتك المتطرفة
لأنعمرى فى الصالة وأنت مبهوت من ضوئى
عانقنى كما لم تعانق
ابك بين نهدى أيامك الضائعة
وابحث عن مستقبلك فى شفتى
واعدُ مثل ثور هارب من الذبح بين ساقى الكاملتين
أتت المرأة التى حاربت ألف يوم ويوم
فى خنادق ومنازل متهدمة ومحالٍ منهوبة ،
وغرف أطفال خالية إلا من خيالاتهم على الجدران
أتت المرأة التى ضاجعها ألف ذئبٍ عنوة
وصلبها ألف ذئبٍ عنوة
ودمرها ألف ذئبٍ عنوة
لتقوم من رمادها مثل عنقاء أسطورية
وتخلع عباءتها فى الصالة
وتأخذ بيدى إلى نهدى الأيسر
وتأمرنى بعدم الكلام

الكلام لها
والحكايات
والأسماء
والمعاني
والمعرفة الخالصة
*

أعرف الآن لم خرج آدم من الفردوس
أية قوة دفعته ليعصى
ليتحدى
ليرفع هامته ويضرب صدره بقبضته
وكيف سار على الأشواك
وعندما مسّه الجوع مد يده إلى الثمار من حوله
فكانت مرة ولاذعة
وأعرف كيف وضعت حواء يديها على صدغيه
وأمرته أن ينظر في عينيها
ثم أخذت يده ووضعتها على نهدا الأيسر
وقالت أنا حصانك المجنح ياسيدى ورفيقى
انس كل ما تعلمته
دع الفلسفة واللغات الفارغة والمعاني الزائفة
دع القشور التي تتخبط فيها
وخذ عنى المحبة
دع الأيام التي كرت من حياتك
وتشرب النعمة من عيني وبدني
كم حلو أنفك وشاربك

كم بريئة عيناك و خالية من القسوة
كم صارمة شفتاك وتحتاجان إلى لغتي
كم أتمنى ألا تلثم جروحي
وأن تظل يدك يا رفيقي على نهدي الأيسر
وبمينك تعانقني
ويبقى الثور الهارب من الذبح بين ساقى إلى الأبد

*

ما حاجتي لاقتفاء آثارِ الهمج على جسدك
ما حاجتي لوضع الملح في جراحك
خذى شفتي إلى نهديك
إلى كنزك المقدس
قوديني إلى مصيري الذى انتظرته طويلا
قوديني إلى الجنة
لأعرف أنى كنت طريد الجحيم
أنا الجبل شاهدتُ النور فصرت دكاً في صالة شفتى المتطرفة
لا أريد لقلبي أن يطمئن
لا أريد أن أرى غير ما رأيتُ
لا أتذوق غير ما طعمتُ
لا أشمُّ غير ما جمعت من روائح
الأرض ممتدة ووادعة
والعشب ينمو تدريجياً حول المقاعد والكتب الملقاة دون اهتمام
مملكتي تظهر مع كل قبلة
مع اللمسة

مع ابتسامتكِ الخجلى

مع التماعه عينيكِ العميقتين

يا الله

أين كنتِ طوال السنوات الماضيه

وأين ضعتُ أنا بين الكائنات

أين لسانى وأنفى وعيناي وأصابعى وأسنانى

يارب

امنحنى القدره على السهر

لأرعى الغزالات السارحة بين ذراعيها

امنحنى يارب القدره على العدو

لآتى بالمعجزه على بطنها المصقول

يارب امنحنى القدره على النظر

لأرى صورتى المنطبعة فى عينيها لحظه تحتوينى

وامنحنى يارب اليقين

لأدرك أننى المختار للملاكة

امنحنى يارب القدره لأتكلم بلسانى

وأتكلم بمحراثى

وأتكلم بأسنانى وشفتى

*

أعلم أن الذئاب عبرت بين ساقيكِ

أعلم آثار مخابها وأنيابها

أعلم أن الحرائق أتت على الحقول بين يديكِ

أن القذائف دمرت المدن فى عينيكِ

أن الخرائب أحاطت خيالكِ
أن الظلام أطفأ شموسكِ الألف
أن الدماء سالت في أنهاركِ
لكني رأيت قيامتكِ في شفتي المتطرفة
تبعين الآن من صالتي الفوضوية
وسط الكتب الملقاة والملابس المبعثرة
والأوراق التي أحرقتها الوعى
أنتِ النهر الذى يتدفق من حجرة النوم باتجاه المكتبة
حيث تنام خيالاتي على الرفوف
عندما تعاودك الحمى على إيقاع طلقات الرصاص
ادخلي صدري

أو

أضعك مكان الضلع الناقص لترتاحي في منبعكِ
عندما تعاودك الحمى
أقبل ندوبكِ وجناحيك
وأرسل شهى خلف الشياطين فتختفى
عندما تعاودك الحمى
أقرأ لك حكاية الملائكة وجناحيها المكسورين
وكيف سقطت على رأس الشاعر
بينما يفكر في الخبز لعشائه
باعتباره الحقيقة الوحيدة في الوجود
عندما تعاودك الحمى
أضغطُ على يدكِ الصغيرة جالبة الحنان
وأمسحُ على جبينكِ بشفتي

وأمسدُ شعركِ
فتتدفق الحكايات من شفطك
حكاية الحمل والبنات الثلاث
حكاية فتون التى ذبحتُ عشرين مقاتلا
وحكاية ملكة المجاهدات

تكلمى يا ملاكئة
تكلمى باللغات كلها
تكلمى بالمحبة
تكلمى بالمعرفة الخالصة
تكلمى..
تكلمى..

II المراثى

الحمائل والبنات الثلاث

كنا ثلاث بناتٍ من حى "الشيخ مقصود" *

ثلاث أخوات أقمار

نسير على الرمل فينبت العشب

ونبتسم ، فتخرج الشمس من مخبئها

وعندما ندخل غرفتنا فى المساء

يتعلق القمر فوق بيتنا

سهرانا طوال الليل

وفى ليال كثيرة

يترك السماء ، لينام فى غرفتنا

تحت أقدامنا

تاركا الظلام يغمر كل شئ

كنا ثلاث بنات

وكان أبونا حمالا

يخاف الله والبنادق والأيام الآتية

وعندما يبدأ القصف

وتسقط البراميل المتفجرة فى الجوار

ويرتج بيتنا المتهالك

يعاتب الله:

ألم أقل لك احفظ بيتنا العتيق

ألم أقل لك احم بناتى من الموت والذئاب
ألم أقل لك أبعد الشر عن جيراننا
إلام نستند إن قضاوا أو انهارت بيوتهم على رؤوسهم
لمن نلجأ عندئذ
ونحن نتساند مثل قطع بعد أن مات الراعى

وعندما لم يسمع من السماء شيئا
وعندما لم ير من السماء شيئا
نبتت لحيته طويلة طويلة
وقايض بندقية بقمح الشتاء
وجلس يطلق الرصاص أمام البيت

عندما لم يرد الله على أيينا
حمل الذئاب إلى غرفتنا
وذبح القمر على وسادتي
لم يسمع صرخاتنا
لم يستجب لتوسلاتنا
لم يعترض عندما مضت الذئاب بنا إلى أوجارها
وتركته شيخا وحيدا طاعنا
يطوف حول بيتنا المتهالك
ويدور حول نفسه
يسب القنابل والطائرات والبراميل المتفجرة
ثم يطلق الرصاص باتجاه السماء

*منطقة بحلب

مراثى دنيا زاد

أيها الألم

يا ابن العاهرة

خذ كل الرصاصات

أيها الألم

يا منزلنا المتهدم

يا طفلا ملقى فى القمامة

يا صبيا يموت ببطء

لم لا تجرب الموت ألف مرة

ألف مرة

يا منزلنا المتهدم فى القصف ولا يزال يحتفظ بأرواح سكانه

أبى يذهب إلى العمل ويعود إلى الموت كل يوم

ومعه كيس الفاكهة والحلوى

وأمى تطهو وهى تغنى "كيفك إنت"

وتطرز المفارش لغرف الأولاد

ثم تعود للموت باسمة فى المساء

أخى إباد يخرج للقتال

يطلق لحيته ويرتدى أوفرولا مموها ويصوب بندقيته نحو النجوم

ثم يعود إلى البيت جريحا ليموت وسط أسرته
أخى الأصغر مازن يذهب إلى المدرسة
ثم يعود إلى البيت ليلقى بحقيبة الكتب ويموت كالعادة
وحدها أنا أغادر لأفتح ساقى لأيور من خمس قارات
ثم أجلس آخر الليل أراقب الموت يغطي منزل العائلة مثل ملاءة سرير

أيها الألم
يا ابن العاهرة
أنا قادمة
أنا قادمة يا إباد
أصابتك شظية في رأسك
ثم تركوك جريحا على الأرض
تتراكم حولك العلب الفارغة والنفايات وأوراق الشجر
ويكسوك التراب
وأنت تنن من الحياة ومن الموت المقرب
بينما تتربح الحدآت والكلاب
الروح التي تتسرب ببطء من الجسد النحيل

أيها الألم
يا ابن العاهرة
أنا قادمة
أنا قادمة يا صبيا حاول الدفاع عنى بسكين المطبخ
حاول منعهم من أسرى
من دفعى إلى عربة الصيد

فأصابته الطلقة في صدره
وظل يزحف خلف العربة ملوحا بالسكين في يده
للبنادق المشرعة
للقهقهات الساخرة

أيها الألم
يا ابن العاهرة
أعرف أنني فشلت في إعادة ترتيب الكون
كان على أن أسترجع الزمن
أن أصد الأقدار عن ضحاياها
أن أوقف المصائر
وأمنع الموت أن يغطي منزل العائلة مثل ملاءة سرير
أيها الألم
يا ابن العاهرة
اكتفيت منك

صلاة من أجل "سارة"

كفنتها المجاهدات في قميصها الأحمر البيبي دول
ثم في ملاءة السرير ،خريطة الإفرازات
المجاهدون حملوها في صندوق إلى منتصف الساحة
ثم نادوا على صلاة الجنازة
قائد فيلق الفاروق أمّ الصلاة
ونادى على المصلين المطرقين:
أربع تكبيرات
نسألکم خالص الدعاء
للشهيدة التي قضت على الجبهة
.....

في غرفتها جنوب المعسكر
ظلت الشهيدة سارة تجاهد
في مواجهة القوة الثلاثية لنيران الفياجرا والسيلاس وعرق الريان
في عروق عشرة مجاهدين
يحرثون أرضها
فرادى وجماعات
طوال ليلة بدون قمر أو مصابيح غاز
الشهيدة سارة
طلبت أن يكفوا
رجتهم أن يكفوا

صرخت فلم يخرج صوتها
ثم انقطع نفسها
لكن ساقها ظللتا زاوية قائمة والثيران تعدو بينهما
حتى الصباح
حتى كفتها المجاهدات في قميصها الأحمر البيبي دول
ثم في ملاءة السرير ،خريطة الإفرازات

زهرة حمراء فى شعر "لونا"

كل من يعرف لونا يرمى القمر بالحجارة
كل من ينظر إلى لونا يبدأ فى الغناء
عندما ولدت لونا
لم تبك مثل الأطفال
فتحت عينيها العسليتين وابتسمت
الأب قال أسميها الشمس
لأن النهار يبدأ من عينيها
وذبح تيساً سميناً
الأم فرحت وقالت "لونا"
القمر الذى ظهر فى حياتنا

فى المدرسة الابتدائية
برعت لونا فى رسم الزهور
منحتها حياة فى كراسات الرسم
ولصقتها على حوائط غرفتها
ثم جعلتها تتنفس وخاطبت كل زهرة باسمها
لكن المعلمين تساءلوا:
لماذا تظل لونا صامتة
أى خيالات فى رأسها الذهبى

ولماذا تختبئ الأصوات في حنجرتها
وخلف ابتسامتها الغامضة

لونا عبرت الابتدائية
رسمت خرائط الجغرافيا مثل الزهور
وحشدت رأسها بالعربية والفرنسية
معلمة الفرنسية قالت : لونا قمر مدرستنا
ووضعت زهرة حمراء في شعرها الذهبي
معلم التاريخ تباهى في طاوور الصباح: سنفرح لأننا كنا أساتذتها

لونا في المرحلة الثانوية
تذاكر الرياضيات والكيمياء
وتبتسم للقمر في السماء
أنت وحدك شبيهي
أريد أن أصعد وأجلس إلى جوارك
فيصنف المعلمون
لونا من أريانة
لونا فخر تونس
تحب الجلوس أمام البحر
وتستعد للبيكالوريا
أبوها اشترى نوعا جديدا من القهوة والعسل
وأما أعلنت حالة الطوارئ في البيت
أبوها يتحدث لأصدقائه
ابنتي ستحصل على الدكتوراه من السوربون

أمها تصنع لها كوفيات من الصوف
وتبكي قبل عام من السفر

في مساء ما غادرت لونا
حزمت حقائبها وسافرت إلى تركيا
قبل امتحان البكالوريا
قبل البعثة لفرنسا
قبل الدكتوراة من السوربون
ودعت البحر
ودعت "أريانة"
ودعت تونس كلها
لكنها لم تودع أباهما
ودعت القمر شبيهها في السماء
لكنها لم تودع أمها

لونا عبرت الحدود إلى حلب
وحصلت على بندقية في الكتبية الخضراء
تعلمت القنص من مسافة بعيدة
والجهاد على أسرة المقاتلين

لونا أسرها الجيش الحر
وصدر ضدها حكم سريع بالإعدام
وقبل إطلاق الرصاص
سقطت البراميل المتفجرة

فهرت إلى فيلق الشام

لونا حصلت على بندقية جديدة

وواصلت القنص في النهار

ومضاجعة المقاتلين في الليل

أمها في "أريانة" ما زالت تصنع كوفيات الصوف

حتى تقى لونا البرد

وترهف السمع كلما سمعت طرقا على الباب

أبوها يبحث في مخافر الشرطة والمستشفيات

ويطبع النداءات ليوزعها على المارة في الشوارع

لونا كانت تستعد للبكالوريا

والبعثة إلى فرنسا

وتمنح الزهور حياة

.....

.....

هل تعرفون لونا

هل شاهدتم لونا

تبتسم للقمر في السماء

أخبروها أننا ننتظرها على العشاء

هنا

في "أريانة"

فادية البيضاء تحب عرق الميماس

نحن في منتصف مايو
الثمار نضجت على الأشجار
سقطت زهور اللوز
وجرفها الهواء إلى الدروب
إلى أين تنتهى الزهور بعدما يجرفها الهواء
الجيران يتهامسون في "بستان الباشا"
أبو الليث الشبيح اختطف فادية البيضاء،
منذ خمسة أيام قتل زوجها أمام المنزل
أطلق عليه الرصاص في عز النهار

أبو الليث طالما أراد فادية الجميلة
الجيران يتهامسون
لكنها رفضت
أبو الليث قتل زوجها أمام عينيها
والجيران أغلقوا النوافذ
والتزموا الصمت
لماذا تقف فادية بوجه الشبيحة
لماذا خلق الله عينيها جميلتين قاهرتين
ولماذا وضع محبتها في قلب أبي الليث

الأسبوع الماضي
أبو الليث أعطى إنذارا لفادية
كتب لها على زجاجة "ميماس":
سأحرق قلبك إن لم تبردى نارى
وعندما لم ترد عليه
قتل زوجها أمام عينيها
والآن جاء وزعرانه ليأخذوها

نحن فى منتصف مايو
والأغصان محملة بالثمار
من يقطف الثمار قبل أن تسقط على الأرض
فادية فى الثانية والثلاثين
لها ثلاثة إخوة فى حمص
لا يشربون إلا الميماس
وفادية مثل إخوتها تتفاخر أمام جاراتها :
اشرب ميماس وقبّل الكاس
جاء أبو الليث إلى منزلها فى بستان الباشا
ولفها فى ملاءة سرير
بصقت فى وجهه
وحملها إلى سيارته
وفى خرابته لطمها حتى نرفت
جوّعها حتى سقطت مثل ثمرة طيبة فى منتصف مايو
ثم سقاها ماءً محلياً بالعسل

وكأسا من عرق الميماس
وضاجعها طوال الليل

فادية التي خلقها الله جميلة
تحب يد الله
لكنها تخشى يدى أبي الليث
تخشى أن يحرق وجهها بالأسيد
نخشى أن يجده أنفها
تخشى أن يسمل عينيها لتصير مثل سمية الشحاذة
فادية تنام تحت أبي الليث
ويسألها : أنا أم زوجك المرة
فتجيب: أنت
قولى أعشقتك يا أبا الليث
فتردد الكلمات التي ترضيه

نحن في أغسطس الحار
والفلاحون يجمعون بواكير العنب
وأبو الليث اكتفى من فادية
وإمعانا في إذلالها
أهداها إلى الشبيح خالد حيانى
فادية تفكر في الهرب
لكن إلى أين

نحن في أوائل سبتمبر

الفلاحون يجمعون العنب للعصير
ويقطفون التفاح
فادية سرقت مائتي دولار من جيب "حياني"
أعطتها للحارس ومضت في الليل
وفي أبعد منزل متهدم نامت حتى الصباح
وهرولت إلى حواجز جبهة النصره

نحن الآن في أكتوبر
الفلاحون في الكروم
يصنعون العرق المنزلى
ويواصلون قطاف التفاح
الأوراق ترحل عن أغصانها
والخريف يبسط سطوته
فادية تحمل بندقية قنص
ومن محبتها تتمنى أن ترى أبا الليث
وأن تواجه خالد حياني بطلقة في الصدر
فادية تغطي وجهها بقناع أسود
لكن عينيها القاهرتين تفضحان جمالها المخبأ
في الليل، تخلع القناع والعباءة السوداء
وتخرج زجاجة الميماس المخبأة تحت فراشها
لترفع الموسيقى عالية في رأسها
وترقص
ترقص
ترقص حتى الصباح

إنها الثامنة صباحا.. مصطفى يبيع مها بمائة دولار

الشوارع ساكنة مع أول ضوء للنهار
الغريان بمشيتها العرجاء تتقافز في طمأنينة
منزل مشطور بسكين على اليمين
وعلى اليسار آخر مليء بالثقوب مثل قطعة جبن
مصطفى يدفع زوجته أمامه
ويبحثها على السير
مصطفى لا يتكلم
مها وحدها تتكلم
تشكو
ترجو ودموعها تسيل
أخيرا، منزل مشطور بجمال
غرفة نوم الأطفال ظاهرة للعيان
سرير وردى ومرآة تتدلى منها ألعاب زاهية
مصطفى يريد بيع مها
ومها لا تريد مفارقتة
صفوف من البيوت مهدمة بعشوائية
دون ذوق

الطيّارون الذين قصفوها بدوا متعجلين
فعجنوها كتلة من الأنقاض والتراب

دعنى معك

لا تتخل عنى

لا تتركنى لأحد سواك

الموت أفضل لى

ومصطفى صامت

مصطفى خائف

عليه أن يصل فى الموعد

مصطفى ومها سارا من " الشيخ خضر " * إلى " بستان الباشا " **

أبو مصعب فى انتظارهما

مها لا تعرف أبا مصعب

مصطفى يعرفه جيدا ويرتعب من نظرة عينيه

نظرة عينيه يمكن أن تتحول إلى طعنة نافذة

أو رصاصة فى الرأس

وضحكته لغز

يمكن أن تكون حفنة دولارات

أو جرحاً فى الوجه

مها لا تفهم

النساء دائما لا يفهمن

يتكلمن كثيرا وليس لديهن إلا الشكوى

وينتهين عند النقطة نفسها ،

البكاء

مصطفى يفكر فى كمائن المقاتلين

فى دمه على التراب إذا تأخر عن الثامنة
مها لا تريد أن ترى أبا مصعب
لا تريد أن تصبح مجاهدة
لا تقبل أن تباعد ساقها لرجل سوى مصطفى
مصطفى يحركه الرعب
يتشبث به ويقوده من أنفه
مثلا يقود الفلاحون أبقارهم
مها مازالت تبكى وتهذى بكلمات عن ليلتهما الأولى
عن النخوة والشرف والرجولة
مصطفى يحث السير ويجذبها وراءه
عبراً منطقة المنازل وعرجاً على الطريق السريع
ثم انحدرا إلى طريق "بستان الباشا"*
تجاوزا البيوت المهدامة
والمسكونة بالأشباح والقناصة
تجاوزا الأرواح التي تسجل على الجدران وصاياها وتحذيراتها
وتجاوزا الأرواح التي مازالت تلف داخل الغرف المشطورة
وتنام على الأسرة
وتفتح الثلاجات العاطلة سرا
وتشرب زجاجات المياه

مصطفى وصل إلى سيارة أبي مصعب
وأشار إلى مها التي تتعثر خلفه
مها رفضت أن تدخل السيارة
ومصطفى لطمها

مصطفى تكلم أخيرا
اصعدى ولا تكونى كافرة
اصعدى أنت طالق
مصطفى قبض مائة دولار
السعر حدده أبو مصعب
مصطفى لوى وجهه وعاد مرة أخرى إلى "الشيخ خضر"
عبر على المساكن القصوفة بمهارة
وعلى المساكن المنفجرة
وعلى المساكن المهدامة بعشوائية
ورأى غرفة نوم الأطفال التى تطل على الشارع
والمرآة
وألعاب الأطفال
ورأى الأرواح التى تهيم فى الغرف الخالية
فيما تدخل مها غرفة أبي مصعب
وهو يحيط خصرها بذراعه.

● الشيخ خضر وبستان الباشا حيان بحلب

بدرُ البدور والذئاب

ليكن كلُّ ذئبٍ فرحاناً
ليهنأ بقضمته من جسدى
بانتعاضه
ولهائه
وارتعاشته
وسعاداته المغتصبة
ليس فى قلبى بغضاء
ليكن جمالى المبهر نسغاً فى شرايينه
وصوتاً فى عوائه نحو القمر

ليهنأ كلُّ ذئبٍ بقضمته من جسدى
بما يستطيع أن يحمله معه من روحى
الأغبرُ الأفغانى الذى تلقى رصاصة فى فكه
الرمادى الصومالى الذى يقتل الهواء من الخوف
والجزائرى الذى لا يتكلم إلا برصاصة
والسعودى الزاحف عندما يبدأ القصف
والليبى الذى يهرب من شبح يطارده
والمصرى الذى يبكى سرا
فتصنع دموعه مجرىً إلى النيل

ليهنأ كلُّ ذئبٍ بقضمته من جسدى
لا أريد انتقاماً ولا ندماً
لا أريد صواعق تهبط على رءوس المخدوعين
على رءوس الضحايا الجلادين
لا أريد ألف سوط لأمزق القوادَ اليمنى
أريد لجميع الذئاب أن تتذكر تلك القضمة الفريدة
وهى تعبر مثل ومضة
ساعة يأتيها الموت

ضحكة "عائشة"

كيف تموت عائشة
كيف تموت من كانت ساعاتها ابتسامات وأيامها ضحكات
تضحك من القصير والطويل
من الأسود والأبيض
تضحك من أشكال البنادق والمسدسات والسكاكين
تضحك من اللحي الشعثاء واللحي المشدبة
من روائح العرقى والويسكى والفودكا
من شروق الشمس ومن غروبها

من اكتمال القمر وخسوفه
تضحك من جدول النكاح
من تأوهاها طوال الليل
من الليل بمصايح الغاز والنهار بالبراميل المتفجرة
تضحك من القائد القواد
والنسوة الشرهات

كيف تموت عائشة
كيف تموت من كانت ساعاتها ابتسامات وأيامها ضحكات
من أطلق دفعة من الكلاشينكوف بين ساقها
فهربت الضحكات إلى القمر
وحلت محلها صرخات وكآبات

في ليالى البدر
تسمع النساء فى المعسكر ضحكةً مجلجلةً
تشبه ضحكات عائشة
فيرتعد المقاتلون
ويعدون خارج المعسكر
تاركين أسلحتهم غنيمة للأشباح

بينما تفكر "فاتن" في ذبح عشرين رجلا

مرتبة سرير ملقاة في الركن
أشياء كانت قديما شراشف
دورق مياه ممتلىء إلى منتصفه
شمس غائبة حتى عند ظهورها القاسى
لأن النهار لا معنى له
حشرات على الأرض تبني عالمها وتجاهد للدفاع عنه
بقع داكنة وخرائط من دم وإفرازات..
هذه هي ذاكرتى

رمانة انفرطت مائة حبة على التراب
هذا هو قلبي
أنا "فاتن" من "الحيدرية"*
ولا أحد يحكى الحكايات أو يوقف القتل
لا أحد يعلم أين ذهب مؤيد
على الأرض يسعى ويلوح برشاشه
أم صعد إلى السماء
ليس من حق مؤيد أن يصعد إلى السماء
ليس من حقه أن يصعد بمفرده
جهزنا كل شيء

ولم يودعنى

الشقة والأثاث

سرير الطفل

والصوفا فى الصالة

ولم يودعنى

كنا سنسميه مازن

طفلنا

كنا سنسميها تالا

طفلتنا

كنا سننظر فى عيونهما ونكدح

لم يودعنى

أين المرأة الطويلة التى كنا نتبادل القبل أمامها ونضحك

التى كنا نأمرها بتسجيل عناقنا

طلقات رصاص تخترق السماء

فتسيل قطع كبيرة من الظلام

على العيون والقلوب

تنطفئ النجمات وتصير حجارة سوداء

يقذف بها الأطفال الكلاب الضالة..

هذه هى أحلامى

رجال قبيحون يأكلون أصابعى وقدمى وساقى وبطنى كل يوم

كل يوم الأ لم نفسه

والتوسلات نفسها

وخيوط الدماء ترسم متاهات على الأرض الباردة

وطقطقة العظام
والغيلان تزدرد وتلغو ولا تكتفى
الكابوس مستمر حتى طلوع الفجر
عندئذ تنبت أصابعى وساقى وبطنى مرة أخرى
أولد من جديد
مع شروق الشمس
مع بزوغ النهار
لأطلق الرصاص على الذئاب من حولى

*أحد أحياء حلب

خطبة "أم البراء" بعد هروب "ميسون" وانتحار "فاتن"

للطاغية أن يحزن كلما تعرينا
لأن أجسادنا المنيرة تشحذ أسنة المقاتلين
للطاغية أن يحزن كلما خضعنا
كلما عانقنا وقبّلنا وغربلنا
كلما رهزنا ونحزنا وشهقنا
لأن في نهودنا ثورة
وفي أفخاذنا ثورة
وفي فروجنا نازّ موقدة
*

للطاغية أن يأرق كلما أرضعنا المجاهدين
ألسنتنا في أفواههم
شفاهنا بين أسنانهم
أردأنا في أيديهم
وبطوننا ممراتهم
وفحيحنا يدهم
هلموا هلموا
حتى نضمّ عليكم رابى الجسّة
*

للطاغية أن يخشى من شهواتنا

لأن طغيانها يكسر طغيانه

سُررنا مرفوعة

وأبدأنا موضوعة

حضننا اتفاق

وإقبالنا ميثاق

*

للطاغية أن يرتعب في قصره العالى

لأن في أعكان بطوننا مدافع رشاشة

وفي فروجنا مخازن الذخيرة

أردافنا دبابات

وأثداؤنا مضادات للطائرات

وحُسُنُ تبعلنا يصد القاذفات المغيرة

*

للطاغية أن يُجِنَّ من دعائنا

اللهم ارزقنا القُبل في سبيلك

الضمَّ والمعانقة في سبيلك

والعضَّ والتأوّه في سبيلك

اللهم ارزقنا الجهاد تحت المجاهدين

ومكنا من آلائهم أحسن تمكين

وارزقنا الحركة والعلمة

والشوق والهمة

ليكن حرنا ساخناً وكلامنا بارداً

ليكن حضننا متسعاً و فراشنا ضيقاً

لتكن شفاهنا مرغوبة

وأركاننا مطلوبة

وسيقاننا مرفوعة

وأثداؤنا مرضوعة

لتكن أجسادنا شفاء

وأرواحنا دواء

*

للطاغية أن يعرف بي

بيدي هاتين قتلتُ مائة كافر

بيدي هاتين أعددت الذخائر

ونظفت البنادق

وطبخت الطعام

ثم تعطرت وخضعت وباعدت ونحرت

نهداي هذان ثبتتا ألف مقاتل على مواقعهم

أرضعا ألف مقاتل ليواصلوا الجهاد

نهداي كتيبة وجيش

مسلطان على الأعداء

للطاغية أن يخشى فروجكنَّ الحارة

كل فرجٍ بمائة مجاهد

كل فرجٍ يُبَّت مائة مجاهد

فروجكنَّ تغيظ الأعداء

وتوردهم موارد الهلاك

فروجكن تحرر بلدا

وتقاتل طاغية

والله لو استطعت لوضعت في فرجى بندقية،

لكنى أستبدل بها أيورَ المجاهدين

منهم من لقي ربه

ومنهم من ينتظر

وما بدلناه تبديلا

أنهار العسل واللبن من أجل "زاهية"

بعد آلاف الكيلومترات من اللهاث

بعد الهنك والرنك وحسن التبعل

بعد "اتوا حرثكم أتى شئتم"

بعد الكي بالنار

بعد الصفع والركل واللجمات

بعد الدموع والإحباطات

بعد عشرات الجلادات من قائدة المجاهدات

بعد أن تحولت من امرأة إلى غمد

من روح متوهجة إلى ثقب

من وجدان إلى مكب للنفايات

من شاعرة إلى مومس

بعد هذا الطريق الطويل الطويل من الآلام

لا أريد في اللجنة رائحة رجال

فقط

أنهار من عسل ولبن

وفتيات مخلدات كأنهن لؤلؤ منثور

لماذا تكرهين القُبل الطويلةَ يا "ماجى"

ل ماجى ماليس لغيرها من النساء
لها أن تقفز عارية من لندن إلى شوارع المرجة والكروم الجنوبية والصالحين*
لها أن تصرع من اللذة عشرة رجال كل ليلة
وأن تضحك مثل طفلة سعيدة بالحلوى

ل ماجى ماليس لغيرها من النساء
فى يديها بندقيتان
وكلما أصابت رصاصتها ضحكت وقبلت من يجاورها
كل المجاهدين يحبون القتال جوار ماجى
كل المجاهدات يكرهن ماجى
وكل المعسكرات تتمنى لو أن ماجى أميرة للفيالق والكتائب

ماجى غطت شعرها النارى وقرأت الشهاداتين بلكنتها الأعجمية
فانتعظ المجاهدون وكبروا ثلاثا
ووصلت المجاهدات إلى الذروة

ل ماجى ماليس لغيرها من النساء
رشاشان فى عينيها الزرقاوين
ومدفع فى شفيتها

ونهداها دبابتان
وبين ساقها بركان لا يتوقف عن الثوران
وحدها ماجى ، تختار من تضاجعه بعد القتال
وحدها ماجى تصنع الأعاجيب
وتروى الحكايات
وتكره القبل الطويلة
تريد أن تقاتل إلى أن ينطفئ اللهب الأزرق في عينيها
وأن تلد مقاتلين،
شعورهم حمراء نارية
وعيونهم زرقاء
ويتكلمون العربية بلهجة أعجمية

ل ماجى أن تضاجع الأمير وحارسه
وبعد أن تصرعهما
تنادى الكتيبة شيخا شيخا
بجاهدا مجاهدا
ثم تضع صورتها بالعمامة والرشاش على فيس بوك
وتدون
أنا فى الجنة

ل ماجى مالىس لغيرها من النساء
لها أن تصرخ ساعة القصف فى أقرب مجاهد
Fuck me

حتى يهدأ روعها

وفور أن يولجه فيها بالوضع الفرنسي
تمسك الرشاش وتقتل مثل لبؤة مجروحة
وتأمر المجاهد ألا يتوقف
لبركان ماجى الحق أن يظل مأهولا طوال اليوم
عريها الشاهق فارق بين عاملين
بين قارتين
لها أن تسمى الحرب باسمها
والكتيبة باسمها
والفيلق باسمها
وأن تضع صورتها علامة على كل المدن
لها أن تشعل الغيرة بين الكتائب
وأن تبدأ الحرب بين أمراء الجهاد
لتعرف
أيهم أحق بالفوز بشعرها الأحمر
وعينيها الزرقاوين
وبركانها الثائر

*أحياء بجلب

أم الشهاب .. أسيرة الروض العاطر

يكفى أن تذكر أم الشهاب
لتبتسم المجاهدات في مناطق جيش المجاهدين والأنصار
وينتبه المقاتلون المشغولون بتنظيف أسلحتهم
أو بمراقبة الأفق

ليست بدينة ولا يمكن وصفها بالنحيلة
عيناها سوداوان فرحتان لهما لمعة تجذب النظر
تحب عباءتها السوداء وتكره الملابس التحتية
تحب الفرج حرا مستعدا
مثل مسدس رُفع صمام أمانه
ويمكن لرضيع أن يطلق رصاصته

في غرفتها الأخيرة بين غرف المجاهدات
تخلو لنفسها ساعات لتستعيد " الروض العاطر "
في طبعة مجلدة زاهية
لم تتأخر يوما عن نكاح
ولم ترد مقاتلا أتاها
ولم تسأل مجاهدا كم سيدفع

وفى كل ضجعة ترفع ساقها بالحماس نفسه
وتهمز وتتأوه وتغربل
حتى يقول من فى آخر المعسكر:
أم الشهاب تجاهد

فى الليالى الهادئة
تتسلل المجاهدات إلى غرفتها
حلقة درس ضاحك مع الشيخ النفاوى
وتكتسب أسماء الأيور نغما وسحرا
الكمرة، الحمامة، الهرمان، النفاى، الحباط، مُشفى الغليل
العوام، أبو رقية، الكاشف، الفرطاس، أبو عين
عندما تستحثها المجاهدات
تخلع عباءتها وتفتح ساقها على اتساعهما
حتى يظهر وحشها الغافى
لامعاً مجلياً فاتناً
أتعرفن كم اسما لهذا البئر
تسأل أم الشهاب فى دلال تحفظه المجاهدات
عدوا معى:

الزرزور، أبو طرطور، الغلمون، أبو جبهة، العريض، أبو بلعوم
المقعور، العضاض.....

حتى تصل إلى مائة اسم
وعندها تزحف كل مجاهدة لتقبل وحش أم الشهاب
البئر الذى تخرج منه الحكايات والتأوهات
لا تتورع مجاهدة عن لعقه

أو عضه
فتتأوه أمّ الشهاب
إلى أن يشمّ رائحتها المجاهدون

حول النفق المضى بالشموع داخل "ريما"

في الليل ، اختفيتُ
القمر المكمّل في سماء أبريل ألهمني
أبريل ليس أفسى الشهور
القمر ألهمني أن أحفر نفقا داخلي وأهرب
وجدت الباب
دفعت ودخلت
وجدت المعاول والرفوش والمقاطف
حفرت وحفرت
وكلما توغلت في الحفر زادت قوتي
وأحسست بالشبع
صنعت نفقا جميلا مليئا بالشموع
ضيقا قليلا ، لكن مليء بالطمأنينة
كل يوم أكتسب أرضا جديدة
وأصل إلى مدن جديدة وسموات أقرب
البدر صديقي يرافقني في رحلتي
أريد الوصول إلى بردي

المسافة طويلة من حلب إلى دمشق مررا بإدلب وحماة وحمص
أقطعها ليلا في النفق الذى يطول ويتمدد
يلتف حول الصخور والمقابر الجماعية وعيون الماء
وكلما عبرت نقطة وضعت شمعة مضيئة
علامة على ما حفرت

من مخبئى أرى جسدى الذى يتصورونه أنا
من مخبئى أراهم يقلبونه
يصلبونه
يجتاحونه
وأبتسم فى سرى خشية أن يكتشفوا الباب إلى مخبئى
إلى النفق الذى حفرت

من مخبئى أراهم حائرين فى جسدى الصامت
يلطمونه
يعضونه
يفترعونه
يجلدونه
وهو صامت
وعندما يبأسون
يتركونه كومة من اللحم

أيها القمر المكتمل الذى يعرف سرى
أيها القمر المكتمل الذى أرشدنى

ابق صديقا لى
ابق معى حتى نهاية النفق

الأم أنيسة

إياد

الصبي ذو الستة عشر عاما
أصغر المقاتلين فى فيلق أجناد الشام
يصرخ طوال الوقت ليطرد الأشباح
ويطلق الرصاص على أعداء يراهم يقتربون

إياد دخل الحجرة ليتزوج

من حقه أن يبقى ساعتين فى غرفة أنيسة
مجاهدا بين ساقبها

إياد أسند بندقيته وابتسم

خلع سترته واقترب
نظر إلى أنيسة ثم أطرق فى الأرض
عندئذ أخذت وجهه بين كفيها
مثلما كانت تفعل مع صبيها الضائع
نظرت فى عينيه

وضمته كأمه الضائعة
أنيسة هدته إِيَاد
مسحت على رأسه
طمأنته أن الوحوش والأشباح في الخارج فقط
احتوته كغريب خائف
وإِيَاد بكى في حضن أنيسة
وراح في نوم هانئ
طوال ساعتين

سوار الياسمين من أجل "لينا"

"لينا" ذات العينين الخضراوين من الغوطة

ضاجعت واقفة

ضاجعت منحنية

وضاجعت نائمة

ضاجعت شرقا وغربا وجنوبا وشمالا

ضاجعت مرفوعة الرأس

وضاجعت وعيناها في التراب

لينا ذات العينين الخضراوين من الغوطة

من بين المئات الذين ضاجعوها

لاتذكر سوى واحد فقط

كان يهديها عقداً من الياسمين

يجمعه على عجل

أحيانا ما يكون قصيراً فتلبسه سواراً

وأحيانا أخرى يبقى ليدبل حول عنقها

أم حمزة

من لا يعرف أم حمزة
بسوطها وخنجرها ورشاشها ؟
من يريد أن يعرف أم حمزة
بنقابها وعينيها وصوتها الجحيمي؟
من يوقعها القدر بين يدي الجلادة
بعصابتها وفحيحها وشهوتها للقتل
لابد أن تقبل السوط ألف مرة
حتى لا يخرج الخنجر من غمده
وأن تقبل الخنجر ألف مرة
حتى لا ينزل الرشاش من الكتف العالى

عندما تقف امرأة وسط ساحة المعسكر ،
مقيدة إلى صارية العقاب
وأم حمزة تدور حولها وتقرقع بالسوط فى الهواء
لا يكون مهما أى جرم ارتكبه المرأة
رفضت المضاجعة
لم تنظف السلاح

بصقت في وجه مقاتل
المهم ، كيف ينتهي العرض في الساحة
إلى أين تنتهي خطوات أم حمزة
هل يكون العقاب بالسوط
أم يخرج الخنجر
ليقطع أذنا
أو يجدع أنفا
أم يتكلم الرشاش متبوعا بـ ياخائنة يا عدوة الله

كانت ميساء مقيدة إلى الصارية
وكان جسدها جميلا
وعيناها سوداوين وشعرها فاحما مثل ليل
وكانت معتدة بجمالها
وأم حمزة تكرهها
ترى فيها كل ما ينقصها
كل ما يكدر صفوها وتحاول طمسه بالقسوة والقتل
عندما رفضت أن تتزوج ميساء من مقاتل صومالي
سلموها إلى الجلادة في الساحة
التي تحولت إلى حية عاصرة
سعت نحو ميساء وعصرتها حتى أغشى عليها
عندئذ سألت الجلادة
لم تعصين الله ورسوله
ولم تلتق ردا
وعاودت

لم تخرجين عن طاعة أولى الأمر

ولم يجبها إلا الغياب

وكررت

هل تتوبين وترجعين عن وساوس الشيطان

وعجزت ميساء عن الرد

عندئذ وصلت أم حمزة إلى ما تريد

مرقت ثوبها ثم قبضت على ثديها الأيسر

الثدى أضاء رغم الشمس الطالعة

عصرته الجلادة بقبضتها الحاقدة وألقت السوط

لتستل الخنجر وتعرضه أمام عيوننا في ضوء الشمس

لماذا استلت أم حمزة خنجرها

لماذا فحت وشهقت وصرخت

حتى قلنا إنها تقذف شهوتها

لما اغتاظت كل هذا الغيظ من الثدي البهى لامرأة مغشى عليها

لحظة واحدة وكان الثدي البهى مرفوعا عاليا بيد الجلادة

يقطر دما

وميساء صرختها في السماء

إيلى إيلى لم تركتني

إيلى إيلى لم تركتني

III في كلِّ وداعٍ هزيمة

تحركت الغزاة في المنظر الطبيعي على الحائط
تقدمت مترددةً باتجاه الماء لتشرب
وهزت رأسها يمينا ويساراً وإلى الخلف
وجسمها يرتعد من اقتراب الوحش
رعدتها دخلت جسدي مباشرة
وأنا واقف أمام المنظر الطبيعي في صالة شقتي المتطرفة،
فنظرت يمينا ويساراً وإلى الخلف وشعرت بالعطش ،
لكني لم أقرب زجاجات الماء المصفوفة في الثلاجة
أعرف أنها باردة ومصفوفة وساكنة
وتنتظر أن تمتد إليها يد لتسكب الماء في الفم العطشان
لكني أخشى أن أواجه وحشاً كامناً في الثلاجة
لو مددت يدي إلى مقبض الباب يمكن أن يخرج ويفترسني

لماذا تكمن الوحوش إلى جوار الماء
ولماذا تتابنا الرعدة من مواجهتها؟
حلمتُ مراراً بعالمٍ تتحرك فيه الوحوش بوضوح

تأتى إليك وأنت واقف أمام منظرٍ طبيعي
وتستأذنك بلطفٍ:

لقد حانت ساعتك ياسيدى

أنت ضحيتى اليوم،

أنت تقاطعت مع طريقي فى الحياة

ولابد من التهامك

هل تريد ألماً زائداً، كأنّ تتمزق إرباً،

أم ضربةً واحدةً مميتة؟

عفواً سيدى الوحش

لقد أخطأت هذه المرة

ربما كنت تبحث عن جارى

هل يمكن أن تعطيني فترةً سماحٍ لأستعد للافتراس؟

الذين يُحكّمون بالإعدام يمنحهم الجلادون خيارات أخيرة

لماذا لا يمنح الوحوش خيارات للضحايا

أحلم أن حواراً يدور بين الوحوش والضحايا

إذا كانت الأدوارُ مرسومةً بصرامة

والوحوشُ لا بد أن تكون وحوشاً

والضحايا ضحايا

قدّرتُ يوماً أن يكون لى الخيار

وحشٌ أم ضحية

واحترتُ، لا أريد أن أكون ضحية

ولا أطيق أن أمضىَ والدمُ يلطخ فمى

وأرواح الضحايا تلتف حول عنقي
أرواح الضحايا ثقيلةً وتبكي طوال الوقت
لأنها لم تكن تريد الفراق
لم تكن تتمنى القتل
تبكي لأنها ضحايا
وتبكي لأنها لم تكن وحوشاً لتفترس
أما من مسافة بين الاثنين
أن يكون الوحش مسلماً، يلتهم الهواء والعشب بدل الضحايا
وأن يكون الضحايا آمنين من الافتراس
يملكون مهارات الاختفاء بدل أن يرتعدوا

هل يمكن أن يكون الوداع بديلاً للقتل؟
الوحش يودع ضحيته فلا يعود يراها ثانية
وتظل أطياؤها تخايله على المدى
والضحية تودع الوحش بدل أن ترتعد أو تنزف
فلا تلقاه مجدداً ، لكنه يظل باقياً في الكوابيس

في كلِّ وداعٍ هزيمة
في كلِّ وداعٍ ألمٌ باق
في كلِّ وداعٍ موتٌ قليل
غير هذا الموت الطاغى في الافتراس
هل على أن أمد يدي إلى مقبض الثلاجة
لآتي بزجاجة الماء الباردة
أم أنتظر أن تمدَّ الغزاة عنقها إلى الجدول

رعدتُها أصابتني فتسمرتُ عيناى عليها
وجلستُ على الأرض
ربما إن جلست على الأرض ، تعود الملائكةُ من حلب
كانت تحب الجلوس على الأرض
وتخاطب الغزالة على الحائط
تحركى إلى الماء ولا تخافى
الوحش بعيد
وهى موقنةٌ أن الغزالة تنصت لكلماتها
يمكنك أن تمدى عنقك الجميل إلى المياه فتفوزى بشربةٍ،
تهمس الملائكةُ كما لو أنها تحدّث نفسها
وأتى من الخلف لأطوقها فى حنانٍ وأقبل عنقها
اطمئنى يا ملاكةُ
لا وحش فى المنظر الطبيعى أمانا،
والغزالة ستتحرك وتمد لسانها إلى الماء
لو ظللنا ننظر إليها قليلا ، ربما نلمح الماء وهو يرتفع
ليمر من فمها إلى عرووقها الدقيقة
ابتسمى يا ملاكةُ،
حتى تتشجع الغزالة وتخطو خطواتها الأخيرة باتجاه الماء
بمقدورنا أنا وأنت أن نحميها من الوحوش
بأن نحفر قليلا فى المنظر الطبيعى
لتصل مياه الجدول إلى حيث تقف
بمقدورنا أنا وأنت أن نصد الوحوش بعناقنا
بتلك النظرة التى نصنعها معا وتحمل الفرح المشوب بالامتنان

لكِنَّ الملائكة ودعتنى
نشرت جناحيها وانسريت من النافذة المفتوحة
وتركتنى وحدى أمام الغزالة المرتعدة
فهل تصلها رعدُهُ الغزالة
هل تصلها حيرتى بين النهر الذى يصل غرفة النوم بالمكتبة ،
والتلال التى تحيطنى فى الصالة
هل تصلها جلستى الآن على الأرض وأنا أضم الهواء بدلا منها
هل أستطيع بمفردى أن أصدَّ الوحش
وأن أحمى الغزالة من القتل؟

أتمنى أن تمطر الآن
لن تكون الغزالة مضطرة للمضى فى خطواتها الأخيرة إلى الجدول
سيرتوى عطشها من القطرات السماوية
وربما تعود الملائكة إلى مبللة بالمطر،
لأنها لم تجد ملاذاً أفضل من شاطئ النهر فى غرفة النوم
فألقت بالمنشفة البيضاء الكبيرة
كما كنت أفعل عندما أحممها
وأمسح على شعرها
ففتبسم لى وألح قطراتٍ دقيقةً من المياه أعلى شفيتها
أمشط شعرها أولاً بأصابعى
ثم بالمشط البُنّيِّ الواسع
حتى لا تتألم ولو قليلاً.
الملائكة تحب أن تجلس لى كما لو كنت أباهما
لأمشط شعرها إلى الخلف وأدهنه بالزيت والطيب

وعندما أنتهى ، تهمز رأسها فرحةً وتقبلنى

ربما يدفع المطرُ أصدقاءً للطرق على بابى

أصدقاء كانوا يعبرون

يجلسون أمام المنظر الطبيعى ويفرحون بالغزالة

يشربون الشاي بالنعناع ويقولون كلمات كثيرة عن الحياة والحب والانكسارات

وأنا أسمع وألتهم الكلمات

ثم أطلقها فى هواء الصالة لتضيئ فى الظلام وتصد الكوابيس

وعندما تتحرك وتصطدم بالحوائط

تصدر عنها موسيقى خفيفة ، كما لو أننا فى الصباح الباكر

لحظة استيقاظ الطيور على الأشجار

وحدى ، فى المسافة بين الغزالة وزجاجات الماء

أجلس على الأرض وأتمنى أن تمطر ولو قليلا

لكنها لا تمطر

ويبدأ ترابٌ خفيفٌ فى التحرك لأعلى

لا أستطيع أن أخطو الخطوة الأخيرة

فى الخارج ، كثيرٌ من المارة والسيارات

يعبرون فى ضجيجٍ مكتفٍ بذاته

لا يخشون الوحوش الرابضة

أو لا يعرفون بما

أو ربما يقبلون بهجومها حين تأتى

ما الذى يتغير،

يتحرر دمٌ وتتبدل حياةٌ ويتناقل شهوٌ وقائع عابرة

ثم يخطفهم النسيان بمرور الوقت
امرأة تتوسل المارة جنيها
تحت الشمس الحامية والتراب الذى يثور لأسباب واهية
التراب يمر بجوار بيتى ويدخل من النافذة
فأقول، ربما هى مقدمات للمطر
ربما هو رسول من صديق يهرول باتجاهى ،
لسنوات ،
ظللتُ أخشى التراب
يثور فى دوامات ويؤذى عينيَّ وصدري
وأظل أياماً بعدها حبيسَ البيت والسعال
إلى أن عقدتُ معه الهدنة
لا أذكره إلا بخير، التراب
مقابل أن يتوقف عن إيذائى
رئى ضعيفتان ولا تحتملان العواصف
كنت أنا المهزوم
رفعتُ يدي بالوداع ومضيئُ،
بينما التراب يتطاوس فى دوامات بالشوارع
ويضرب نوافذ البيوت
ممعنا فى إعلان انتصاره

التراب صديق للوحوش
يستطيع أن يمنع الملائكة من العودة إلى
ويقدر أن يصدَّ الأصدقاء فلا يطرقون بابى
ولا ينادون باسمى كما اعتادوا

فأخرج إليهم مبتسما وعلى فمى القصائد
وفي يدي الكلمات مثل أسراب النمل
كلمةً إثر كلمة

أيها التراب المتعالى ، يا سيدى
بيننا هدنةٌ ، ولا أذكرك إلا بالخير
فلا تحجب عنى النسيم والأصدقاء
لا تمنع المطر من الوصول إلى بيتى
ربما إن سقطت القطراتُ المباركةُ فى الجوار
تراجع القسوةُ
ويبتسم الأطفالُ من جديد.

فى الخارج ، على الرصيف المقابل أرى شجرة الظل
الشجرة التى وقفنا أمامها أنا وأنتِ
وحفرنا اسمينا على جذعها مثل مراهقين يتعرفان على الحب
ويأملان أن تبقى قصتهما وتكبر
وأن يلتف العالم حولها
مثلهما ، ظننا أننا وصلنا إلى مركز الكون
وأصبح لنا شجرة
لا تنبت زهورا ، نعم
أغصاناً وارفةً فقط شديدة الخضرة
تنمو بسرعة فى جميع الاتجاهات وتحتاج إلى يدٍ خبيرة تشذبها
لكنها مع ذلك ، الشجرة الوحيدة التى نملك فى العالم
عندما حفرنا الحرفين الأولين من اسمينا

خشينا أن تنجرح وتخيّلناها غضبي
ثم تغير اللحاء بعد اليوم الأول في موضع الحرفين
وتدرجياً اكتسى لونا داكنا مختلفا
وأصبح لكوننا مركزاً جديداً
الآن ، أنظر إلى الشجرة التي كانت لنا من النافذة
هل تعرفُ أنكِ غادرتِ
غادرتِ دون وداع
دون أن تقفى لحظات أمام الحرفين المحفورين .

الشجرة تهمز مع الريح الخفيفة والتراب
لعلها تشعر بالوحدة من طول البقاء
أريد أن أنادى عليها
وأريدها أن تنتقل إلى داخل البيت
تحمل جذورها وتنزرع حيث أجلس على الأرض أمام الغزالة ،
لأساعدها أن تمد عنقها وتشرب من الجدول المنساب .
أعرف أصدقاء خلعوا جذورهم
ومضوا إلى أراض غريبة وبيوت رطبة وصحراوات
ومهما حاولوا أن ينغرسوا عميقاً
ظلت جذورهم طافيةً على السطح
كما لو كانت غريقاً يبحث عن شاطئ قريبٍ من بيت أهله

لماذا لم أنزع جذوري وأرحل خلف الملائكة
ألأني شجرة وكنتُ أحسبني طائراً

عندما زارتنى الحمى
ودخلتُ فى دوامة السعال الأخريرة
كانت الملاكَة إلى جوارى
تقطر الماء على جبينى
وتسقينى رحيقها
كانت تضع كفها على صدرى
أو ترفرف حولى فتراجع الحمى
وتفرد جناحيها أمام النافذة
فلا يدخل الهواء السام إلى رثى
الآن ، أستقبل قدرى راضياً
وأنتظر أن يكسونى الغبار تدريجياً،
فى جلستى الأبدية بين النافذة والغزاة المرتعدة
وأنتظر أن تأتى الملاكَة بعد سنين
لتجدنى مثل تمثال فى مقبرة فرعونية كشفوا عنها للتو
فتمسح الغبار عن شعرى وعينى وفمى
وتجد الورقة التى أضم عليها قبضتى
وعندما تنتزعها برفق، تنكسر أصابعى الهشّة
لكنها تفتحها مثل وصيةٍ وتواصل القراءة..

"أعرفُ اسم المرأة التى سمّرتنى أمام الغزاة: الملاكَة

أعرفُ اسم قدميها: معجزة الله

أعرفُ اسم ساقها: أوتاد السماء

أعرفُ اسم رديها: الشمسان

أعرفُ اسم بطنها : القمر الدافئ

أعرفُ اسم أصابعها: المياه في الصحراء
أعرفُ اسم نهديتها: نار الشتاء
أعرفُ اسم عنقها: الكبرياء
أعرفُ اسم شعرها : الذهب في الفجر
أعرفُ اسم ظهرها: الأفق السعيد
أعرفُ اسم راحتها: الحنان
أعرفُ اسم ذراعيها: الكنز
أعرفُ اسم حضنها : العودة للوطن
أعرفُ اسم عينيها: البحر لحظة الغروب
أعرفُ اسم بابها المقدس: الجنون
أعرفُ اسم القبلة في شفيتها: الوداع

الشاعر في سطور

- ولد في مدينة دمياط مارس 1967 وانتقل مع الأسرة للعيش في مدينة المنصورة ، وتخرج من كلية الإعلام جامعة القاهرة

- عمل بمجلة الثقافة الجديدة القاهرية مشرفا على القسم الخاص بمتابعة الإصدارات الجديدة خلال السنوات (1990 - 1992) وسكرتيرا لتحرير دورية "القاهرة" التي أسسها الناقد الراحل غالى شكرى فى الفترة من 1996 إلى 1998 ، ومديرا تنفيذيا لمكتب جريدة المدينة السعودية بالقاهرة (1995 - 2002)
- شارك فى تأسيس مجلة سطور (1996 - 2007) وتدرج فى تولى المسئوليات بها من سكرتير التحرير إلى نائب رئيس التحرير
- يعمل حاليا رئيس التحرير التنفيذى لموقع اليوم السابع
- أصدر مجلة شعر المعنية بقصيدة النشر وتقاطعاتها بطبعتين ورقية وإلكترونية
- له عشرات المقالات الثقافية والدراسات المنشورة فى الصحف والدوريات منها، " الحياة ، نزوى ، أخبار الأدب، اليوم السابع ، سطور، الثقافة الجديدة ، الشعر ، المدينة ، الفجر

الأعمال الشعرية:

- "استئناس الفراغ"، دار أدب الجماهير ، المنصورة ، 1993
- "بين رجفة وأخرى" ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 1996
- "باتجاه ليلنا الأصيلى" ، دار الجديد ، بيروت 1997
- "فتاة وصبى فى المدافن" ، دار الجديد ، بيروت 1999
- "مريم المرحة"، طبعة خاصة محدودة ، القاهرة ، 2008
- "نائم فى الجوراسيك بارك" ، طبعة خاصة ، القاهرة 2008
- "قصائد حب إلى ذئبة" ، دار الجديد ، بيروت 2010

- "كتاب الخبز" ، دار العين ، القاهرة 2010
- "قنابل مسيلة للدموع" ، منشورات الكتابة الأخرى، 2011
- أكان لازما يا سوزى أن تعتلى صهوة أبي الهول ، الهيئة العامة للكتاب 2015

النقد الأدبي :

- "واقعية ألف ليلة وليلة " بين الحكاية والإعادة، طبعة خاصة ، القاهرة ، 2004
- "معمار الرؤية" : قراءة في أعمال شاعر قصيدة النشر المؤسس " بدر الديب" ، طبعة خاصة ، القاهرة 2005

البريد الإلكتروني :

karemsalam34@yahoo.com